العقيدة أولًا

للعلامة الشيخ

محمد أمان الجامي

رحمه الله

الحمد لله رب العالمين، وصلاة الله وسلامه ورحمته وبركاته على رسوله الأمين، نبينا محمدٍ، وعلى آله، وأصحابه، وأزواجه أمهات المؤمنين، وأهل بيته الطيبين الطاهرين، أما بعد:

أيها الإخوة الحضور:

عنوان الحديث معكم في هذه الليلة المباركة –إن شاء الله– "العقيدة أولًا"، هذا هو عنوان الحديث، اخترت هذا العنوان نظرًا لقلة الحديث حول العقيدة، المشاكل التي يعيشها المجتمع الإسلامي كثيرة، والحديث عنها كثيرٌ أيضًا، نسمع في الإذاعة، ونقرأ في الصحف الكلام حول المشاكل المتنوعة التي يعيشها المجتمع بصفةٍ عامة والشباب بصفةٍ خاصة، مشاكل الربا ومشاكل التهاون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومشاكل علاقة الجار بالجار، ومشاكل تربية الشباب....، مشاكل كثيرة والكلام حولها كثير، ولكن العقيدة وبيانها وتحقيقها والدعوة إليها يقل الكلام حول هذا الموضوع مع أهميته، ومع العلم أنه هو الأصل قبل جميع المشاكل التي أشرنا إليها، هذا هو الذي جعلني اخترت هذا العنوان لحديثي معكم.

العقيدة في الأصل في اللغة هذه اللفظة لها عدة معاني، من عقد يعقد، من ذلك عقد النكاح وعقد العهد وعقد العهود، وعقد الحبال، في الأمور الحسية، ومنها عقد البيوع، العقد يستعمل في الأمور الحسية والأمور المعنوية بمعنى الربط والشد، ويؤخذ من هذا المعنى الاصطلاحي، فانطلاقًا من هذا المعنى اللغوي العقيدة معناها: عقد القلب والتصميم الصادق الذي لا يخالطه شك في المطالب الإلهية، أن يعقد الإنسان ويعزم عزمًا لا يتردد فيه فيما يتعلق بالمطالب التي بينه وبين ربه سبحانه وتعالى.

المراد بالمطالب الإلهية: توحيد العلم، والمعرفة، ويشمل توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، وتوحيد القصد والطلب وهو توحيد العبادة والنبوات وأمور المعاد، كالبعث بعد الموت وما يتبع ذلك، والعقيدة في أفعال العباد، والعقيدة في تعريف وتحقيق الإيمان، والعقيدة في الجنة والنار، كل هذه عقائد لا يستغني عنها مرءٌ في حياته، ولو استغنى

عن أمورٍ أخرى، ولكن لا غنى له ليصبح مسلمًا مؤمنًا يؤمن بربه سبحانه وتعالى لا بد له من هذه العقيدة، أما توحيد الله تعالى في ربوبيته فأمرٌ لا إشكال فيه، يستوي فيه المؤمن والكافر، ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [الزمر: ٣٨]، حتى الكفار الذين استحل النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ دماءهم وأموالهم يؤمنون بأن الله وحده خالق السموات والأرض، يدبر الأمر من السماء إلى الأرض، خالق الكون، والمتصرف في هذا الكون، هذا مقدارٌ يشترك فيه الكافر والمؤمن من التوحيد ومن العقيدة.

وأما توحيد الأسماء والصفات بأن نثبت لله تعالى ما أثبت لنفسه من صفات الكمال، وما أثبته له رسوله عليه الصلاة والسلام من صفات الكمال، فهذا النوع أيضًا لم يقع فيه نزاع؛ لأن النبي عليه الصلاة والسلام قرأ القرآن على قومه فسمعوه، ولم يعترضوا على سمع الله وبصره، وعلى قدرة الله وإرادته، وعلى أنه سبحانه وتعالى يأتي يوم القيامة لفصل القضاء كما يليق به، وعلى أنه مستوٍ على عرشه كما يليق بجلاله كما أخبر عن نفسه، وأنه عليمٌ حكيم، لم يعترضوا عند ما سمعوا القرآن من رسول الله عليه الصلاة والسلام، بمعنى أنهم مسلِّمون كما سلَّموا في توحيد الربوبية.

ولكن النوع الذي وقعت فيه الخصومة والعداوة الشديدة بين النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وقومه وبين جميع الأنبياء وأقوامهم، وبين المصلحين وأممهم، ولا تزال تقع الخصومة فيه هو توحيد القصد والطلب؛ أي توحيد العبادة، أي إفراد الله تعالى بالعبادة، وتصور معنى العبادة، تصور معنى الشرك، وتصور معنى إفراد الله تعالى بالعبادة، هذا النوع لم يزل -وفيما أعتقد لا يزال- محل إشكالٍ دائمًا؛ لأن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أخبر أنه لا تقوم الساعة حتى تعبد فئامٌ من أمتي الأوثان؛ أي جماعاتٌ من أمتي الأوثان، والأوثان جمع وثن، وهو كل ما يُعبد من دون الله.

المشكلة التي نعانيها مع مجتمعنا -وأقصد المجتمع الإسلامي بصفةٍ عامة- تصور معنى العبادة؛ إن كثيرًا من الناس يتصورون أن العبادة هي الصلاة والزكاة والصيام والحج، إذا أدى هذه الأركان كما يؤديها غيره ولو على طريقة تقليدية يرى نفسه أنه عبد الله

وأدى ما عليه من العبادة، ولا يبالي بعد ذلك كونه إذا اشتدت به الأمور يستغيث بغير الله، يجأر باسم غير الله، ويتقرب بالقربات والنذور إلى غير الله، ويلجأ إلى غير الله، ويتوكل على غير الله، يرى أن كل ذلك لا يضر-إيمانه، علمًا بأن هذا هو صميم العقيدة وصميم الإيمان، وأن هذه الأمور محض العبادة، حيث يقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«الدعاء هو العبادة»**، كون المرء عند الشدة ينسى ربه فيقول: يا سيدي فلان خذ بيدي وأغثني، ويجعل النذور في أمواله ليحفظ الصالحون أمواله وحوشه ونخله، ويتقرب بالذبائح إلى ضريح السيد فلان والصالح فلان والشريف فلان، هذه هي العبادات التي كان يقدمها المشركون لآلهتهم اللات والعزى ومناة وهبل، تلك الآلهة ما كانت الأقوام تسجد لها أو تركع لها، ولكنهم إذا أرادوا أن يسافروا ذهب كل قومٍ إلى إلههم وتمتم عنده وشكا إليه فودعه، فطلب منه أن يحفظه في سفره، يحفظه في نفسه وأهله، وكفار قريش كانوا يعتزون بعزى، لذلك قال أبو سفيان قبل أن يكرمه الله بالإسلام والصحبة يوم أحد: لنا العزى ولا عزى لكم، يعتز بالعزى إلههم، ويقول النبي عليه الصلاة والسلام: ردوا عليه فقولوا: الله مولانا ولا مولى لكم.

هذا الاعتزاز ماذا يفعلون عند عزى؟ هل سمعتم أنهم يركعون لعزى ويسجدون لها؟ جنية، شيطانية كانت في غابة أو بناء، كل العبادات التي يقدمون لها التواضع الخضوع عندها والشكوى إليها، واعتقاد أنها تنفعهم عند الله، ولكنها لا تخلق ولا ترزق.

وهذا المعنى هو الذي يفعله عوام المسلمين عند كثيرٍ من الأضرحة اليوم، ولكن لا يسمونها عبادة، ولا يسمون المشاهد والقبور والأضرحة آلهةً، بل يسمون قبور الصالحين، وما يفعلونه يسمونه توسلاً ومحبة الصالحين، أي غيّروا الأسماء، تغيير الأسماء لا يغير الحقائق، لو أن إنسانًا شرب كأسًا من الخمر فسماها لبنًا أو ماءً باردًا هل يتغير الحكم؟ لا يتغير، إذًا تقديم هذه القربات للأضرحة والمشاهد ثم تسميتها محبة الصالحين والتوسل بالصالحين لا يغير الحقائق أبدًا، إنما هي عباداتٌ تُقدم لغير الله تعالى، هذه الحقيقة وإن كان لا يجهلها سكان هذه الأرض وسكان هذا البلد وشباب هذا البلد ولكن الزوار ومن في

معناهم الذين وفدوا إلى هذه البلاد لهم علينا حقٌ لنبين لهم أن ما يجري هناك، وما يفعله عوام المسلمين في كثيرٍ من الأقطار عباداتٌ صُرفت لغير الله وأن ذلك من الشرك؛ لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: **«الدين النصيحة»**، من النصيحة للمسلمين عامة ونحن نعيش في الحرمين الشريفين، وقد انفتحنا على العالم والعالم وفدت، وهؤلاء الوفود الذين جاؤوا طلبًا للرزق والمعيشة حيث يأمنون على أنفسهم وأموالهم يجهلون كثيرًا وكثيرًا جدًا في أصول الدين؛ في العقيدة والعبادة، فالواجب البيان لهم وتوضيح الحقائق لهم، لنكون بذلك أدَّينا ما علينا من واجب النصح للمسلمين.

إذًا العقيدة أولًا، وقبل كل شيء، وكل شيءٍ بعد العقيدة، وخصوصًا ما يتعلق بتوحيد العبادة.

هنا أيضًا عقيدةٌ يجهلها كثيرٌ من الناس وهي عقيدة الإرجاء، بأن يعتقد كثيرٌ من عوام المسلمين أنه يكفي للإيمان أن يقول المرء: لا إله إلا الله محمد رسول الله، أو أن يزعم أنه مصدقٌ بكل ما جاء به رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا يضره بعد ذلك أن يترك الصلاة والصيام وجميع الواجبات وأن يرتكب جميع الموبقات والمعاصي، لا يضره ذلك، لأن الإيمان في القلب، لأن المؤمن من يقول: لا إله إلا الله وكفى، هذا التصور خطأ، بل الإيمان حقيقةٌ مركبة من القول باللسان والعمل بالأركان والاعتقاد بالقلب.

من زعم أنه مؤمن لأنه مصدقٌ بكل ما جاء به رسول الله عليه الصلاة والسلام وأنه متلفظٌ بلا إله إلا الله محمدٌ رسول الله، ثم رأيناه لا يلتزم لا في المأمورات ولا في المنهيات، هذا ناقص الإيمان، ذهب ثلث إيمانه، الإيمان يتألف من القول باللسان أي التلفظ بالشهادتين والتصديق بالجنان أي بالقلب والعمل بالأركان، التصديق الذي في القلب ما الذي أعلمنا بأنه صادق؟ التصديق في القلب يحتاج إلى شاهد وإلى ما يصدقك في اعتقادك وفي صحة اعتقادك ما هو؟ التلفظ باللسان قد يقع من المنافق، قد كان المنافقون فيعهد الرسول عليه الصلاة والسلام يقولون: لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله، ويصلون خلف رسول الله عليه الصلاة والسلام، لذلك لم يرَ النبي عليه الصلاة والسلام أن يقتلهم؛ لأنهم

في الظاهر مع الصحابة؛ لئلا يقال أن محمدًا يقتِّل أصحابه، والناس لا يعلمون إلا هذا الظاهر، ولكنهم كفارٌ في قلوبهم وهم في الدرك الأسفل من النار، إذًا التلفظ وحده ودعوى التصديق إن لم يكن ما يصدق ذلك التصديق لا يُقبل.

ما الذي يصدق التصديق؟ الأعمال، وإذا حلت الهداية قلبًا نشطت في العبادة الأعضاء، من رأيته نشيطًا في العمل في امتثال المأمورات واجتناب المنهيات حريصًا على أداء الفرائض والإكثار من النوافل، حريص على اجتناب المحرمات وعلى أداء الأمانات دل ذلك على عمران قلبه وأن التصديق الذي في قلبه صادق، ذلك التصديق الصادق هو الذي بعثه على هذا العمل، وإذا رأيت إنسانًا كسولًا معرضًا يقول: لا إله إلا الله ويدَعي التصديق لكن لا عمل، لا امتثال ولا اجتناب، باردٌ كسولٌ معرضٌ غير مبالي وغير متأثر بالمواعظ والتذكير، ميت القلب، هذا لديه إيمانٌ يحفظ ماله ودمه فقط، ليس لديه ذلك الذي يُمدح به ويُشكر عليه عند الله، لأن الله من أسمائه الشكور، يقبل القليل ويعطي الكثير.

إذًا الإيمان حقيقةٌ مركبة من هذه الأشياء المذكورة، والطريق إلى الإيمان سنة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أي لا تستطيع أن تعرف الطريق إلى الإيمان إلا باتباع ما جاء به رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومعرفة ما جاء به النبي عليه الصلاة والسلام تحتاج إلى دراسة، العلم قبل القول والعمل، لا يأتي العلم بدون طلب، كما لا يأتي الولد بدون زواج، لا بد من أسباب، إذًا لا بد من تعلم ما جاء به النبي عليه الصلاة والسلام، لتعرف الطريق إلى الإيمان بالله وإلى الإيمان برسول الله عليه الصلاة والسلام، وإلى الإيمان بكتاب الله، وإلى الإيمان باليوم الآخر، والعمل لذلك.

وأما الاكتفاء بالإيمان التقليدي هذا أمرٌ لا يجدي أبدًا، واعتقاد كثيرٍ من الناس أن الأعمال ليست من الإيمان يسمى عند أهل العلم عقيدة الإرجاء، والإرجاء معناه التأخير، تأخير الأعمال من مسمى الإيمان وإخراجها من الدين، وأنها من الأمور الثانوية، هذا خطأ؛ إذا كان الأمر كذلك قد فتحنا الباب للحكام الذين يحكمون بغير ما أنزل الله، كيف

تعاتبهم وتقول لهم: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، أي كيف تطبق عليهم هذه الآية؟ الله سماهم كفارًا وفساقًا وظالمين، لكنهم يقولون: لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله، ويدعون تصديق ما جاء به رسول الله عليه الصلاة والسلام، إذا كنت مقتنعًا بأن الأعمال غير داخلةٍ في مسمى الإيمان، وأنه يكفي للإيمان التلفظ أو التصديق أو هما معًا لا سبيل لك أبدًا لتحكم على الذين يحكمون بغير ما أنزل الله، وعلى الذين يستبيحون الربا، وعلى الذين يستبيحون الخمور وغير ذلك، لا سبيل لك لتلومهم وتحكم عليهم بالكفر والفسوق والظلم، لأنك وافقت معهم على الإرجاء.

هذه عقيدة الإرجاء يقع فيها كثيرٌ من الناس من حيث لا يشعرون، وعقيدة الإرجاء منتشرةٌ حيث تنتشر الأشعرية والماتريدية؛ لأن الأشاعرة والماتريدية كلهم من المرجئة، وهذا الإرجاء منتشرٌ بين عوام المسلمين من حيث لا يشعرون، ذلك إن تنصح أو تعاتب شخصًا يترك الصلاة مثلاً أو يتعاطى بعض المحرمات فيقول: دعني، الإيمان في القلب، طالما الإيمان في القلب لا يضره أن يترك الصلاة وأن يترك جميع الواجبات، وأن يرتكب جميع المحرمات، طالما الإيمان في قلبه في زعمه، هذه هي عقيدة الإرجاء، وإن كان القائلون بهذا القول لا يعلمون معنى الإرجاء، ولكن توارثوا هذه العقيدة مع أهل الكلام، سرت إليهم عقيدة الإرجاء، لذلك هي عقيدةٌ خطيرةٌ تخرج الأعمال من مسمى الإيمان، وتهون على الناس ترك الواجبات وارتكاب الكبائر والمحرمات؛ لذلك يجب على طلاب العلم تنبيه الناس إلى هذا المعنى وأن الأعمال داخلةٌ في مسمى الإيمان.

لك أن تقول: ما الدليل على أن الأعمال داخلةٌ في مسمى الإيمان؟ أين الدليل؟ هناك أدلة، من الأدلة قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إن الإيمان بضعٌ وستون شعبة أعلاها لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبةٌ من الإيمان»**، جعل النبي صلى الله عليه وسلم (لا إله إلا الله) أعلى شعبةٍ من شعب الإيمان (القول باللسان)، زائد على التصديق، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، وجعل وأدناها إماطة الأذى عن الطريق شعبةً من شعب الإيمان، وهي من أعمال الجوارح، ولو رأى إنسان قشرة موزٍ في الطريق، فأخذته الرأفة

والشفقة على الناس وخاف بأن تسبب سقوط إنسانٍ وانزلاق أحد، بهذا المعنى وبهذه الرحمة وبهذا الاهتمام بالمسلمين أزالها، عمل بشعبةٍ من شعب الإيمان وأثيب على ذلك، ولو ترك نقص من إيمانه بقدر ما ترك؛ لأنه ترك شعبةً من شعب الإيمان، والحياء شعبةٌ من الإيمان، الحياء عمل قلبي، ولا إله إلا الله عمل اللسان، وإماطة الأذى عمل الجوارح، إذًا هذه الثلاثة كلها عدَّها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الإيمان. ويقول الرب سبحانه وتعالى في أوائل سورة الأنفال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ* الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ* أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٢- ٤].

تدبر الآية، بدأ بإنها التي هي أداة حصر. ﴿وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ أي خافت ورجت ما عند الله، وخافت من عذاب الله: هذا عمل القلب، ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ هذا أيضًا عمل القلب، ﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ عمل القلب، ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ عمل الجوارح، جعلت الآية أعمال القلوب وأعمال الجوارح من حقيقة الإيمان، لذلك قال الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾، الذين يؤمنون حق الإيمان، الذين يتلفظون (لا إله إلا الله)، يقول: لا إله إلا الله صادقًا من قلبه، ويعتقد ويصدق ما جاء به النبي عليه الصلاة والسلام يدل على ذلك خوفه من الله إذا ذُكر الله، وأن يزداد الإيمان عند تلاوة كلامه، والاعتماد على الله دون غيره، وعلى ربهم لا على غيره يتوكلون، التوكل لا يكون إلا على الله.

ثم الذي يدل على صحة هذه الأعمال القلبية أنهم يقيمون الصلاة كما فُرضت، وكما جاء بها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومما رزقناهم ينفقون؛ وهذا الإنفاق تدخل فيه الزكاوات الواجبة والإنفاقات المستحبة كلها، والنفقات كثيرة، كلها داخلة في هذا الإنفاق، هذا هو الإيمان كما صورت الآية، وأنتم ترون أن الآية والحديث يصوران معًا حقيقة الإيمان، وأن الإيمان ليس مجرد التصديق، وأن الإيمان ليس مجرد التلفظ بشهادة لا إله

إلا الله، ولكن الإيمان مؤلفٌ من هذا وذاك وذاك، هكذا صورت الآية وصور الحديث، وهذا المعنى يغيب على كثيرٍ من الناس، ويقعون في الإرجاء من حيث لا يعلمون.

وهنا عقيدةٌ أخرى، تسمى عقيدة الجبر، وعقيدة الجبر كذلك يقع فيه كثيرٌ من المثقفين خصوصًا.

معنى الجبر: الإنسان له أعمال، أعمال العباد تضاف إلى الله تعالى وتضاف إلى العباد؛ تضاف إلى الله من باب إضافة المخلوق إلى الخالق، لأن الله خالقنا وخالق أعمالنا وحركاتنا وسكناتنا، وجميع أعمالنا، وتضاف الأعمال إلى العباد إضافة المسبب إلى السبب، لأن العبد هو السبب في وقوع هذا العمل، أنت الذي صليت، وأنت الذي صمت، وأنت الذي تصدقت، وأنت الذي جاهدت.

أهل السنة والجماعة عقيدتهم في هذا الباب أن العبد يفعل بإرادته وباختياره وقدرته، له قدرة وله إرادة وله اختيار، يفعل ما يفعل باختياره وبقدرته وبإرادته، ويترك ما يترك بإرادته وباختياره وبقدرته، ليس مجبورًا على العمل، وليس مجبورًا على فعل الخير، ليس مجبورًا على فعل الشر. الله سبحانه وتعالى خلقنا وأرسل إلينا رسولًا عليه الصلاة والسلام وهدانا النجدين، وخلق لنا القدرة والإرادة والاختيار، أمرنا ونهانا، ولم يأمرنا ولم ينهنا إلا بعد أن خلق فينا القدرة والإرادة والاختيار، ولسنا بمجانين، كل ما يفعله الإنسان من خيرٍ وشرٍ إنما ذلك باختياره وإرادته وقدرته، لذلك يثاب على فعل الخير ويعاقب على فعل الشر.

هناك قومٌ يقال لهم: القدرية، وقومٌ آخرون يقال لهم: الجبرية، القدرية يلغون علم الله وقدرة الله، ويجعلون العبد هو الخالق، يخلق أفعال نفسه الاختيارية، فقدرة الله غير داخلةٍ في أفعاله، هذه طريقة القدرية الكفر بالله، جعلوا جميع العباد من الملائكة والجن والإنس خالقين مع الله، كل مخلوقٍ من هؤلاء يخلق أفعال نفسه الاختيارية. وقابلهم من الطرف الثاني قومٌ آخرون يقال لهم الجبرية، قالوا: العباد مجبورون على ما يفعلون، ليست لهم قدرةٌ

و لا إرادةٌ، مثلهم كمثل الشجرة في مهب الريح، تتحرك بغير إرادتها، هكذا الإنسان في أفعاله، وهذه العقيدة عوام المسلمين بعافيةٍ منها ومن التي قبلها، بل بفطرتهم يعلمون بأن العبد يفعل ما يفعل ويترك ما يترك باختياره وله قدرة.

ولكن هذه العقيدة تُدرس الآن، كانت تُدرس عند غيرنا، ولكنها دخلت الآن في بعض جامعاتنا، بواسطة الوافدين من المدرسين، فصار الأستاذ الدكتور يقرر أمام الطلاب والطالبات بأن الأفعال كلها لله وأن العباد ليست لهم قدرة، ويستدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ [الأنفال: ١٧]، والطالب الساذج لا يستطيع أن يرد عليه بأن هذه الآية ليس فيها ما يدَّعي بل هي على العكس، لأن في الآية إثبات رميٍ ونفي رمي، أي رميٌ منفيٌ عن الرسول عليه الصلاة والسلام ورميٌ مثبت، ولا بد من التفريق بين الرميين، وما رميت إذ رميت: وما رميت نفي، (إذ رميت) إثبات، إذًا لا بد من التفريق بين الرميين، أي الرميين وقع من النبي عليه الصلاة والسلام، وأيهما نُفي عن النبي عليه الصلاة والسلام؟

الرمي معناه الحذف، حذف التراب في وجوه الكفار حصل من النبي عليه الصلاة والسلام، ولكن إيصال ذلك التراب القليل وتفريقه في وجوه الكفار حتى أثر فيهم هذا فعل الرب سبحانه وتعالى، إذًا بداية الرمي من رسول الله عليه الصلاة والسلام، ونهاية الرمي من الله سبحانه وتعالى؛ إذًا رميٌ مثبت ورميٌ منفي. والطالب الساذج الصغير لا يستطيع أن يناقش الدكتور بهذا الأسلوب، يستسلم، فيقول: الآية دلت على أن الرامي هو الله، والرسول ليس له رمي، وهذا دليل على أن العبد لا يفعل، والفاعل الحقيقي هو الله.

ولو نوقش هذا الجبري لأُحرج وأُفحم، ولو قيل له: وهل في إمكانك أن تقول: وما صليت إذ صليت ولكن الله صلى؟ ممكن أن يقال هذا؟ وهل يمكن أن يقال: وما صمت إذ صمت ولكن الله صام؟ لا، وبعد هذا هناك عباراتٌ لا أستطيع أن أقولها، لو طولب في السرقة وفي شرب الخمر وفي غير ذلك من الذي فعل ذلك؟ من الذي شرب؟ ومن الذي

سرق؟ هل يستطيع أن يقول: غير العبد؟ لا يستطيع، العبد هو الذي فعل ذلك بإرادته وبقدرته وباختياره، الله نهاه عن ذلك، وأعطاه القدرة والاختيار على ذلك، هكذا بالنسبة لمن يستطيع أن يحاججهم، لا يجدون حجةً لا في الكتاب والسنة على ما يدَّعون، ولكن القوم يلبِّسون وهكذا يفسدون عقيدة شبابنا من حيث لا يشعرون، إذًا العقيدة أولًا، لا بد من تحقيق العقيدة، ولا بد من إثبات العقيدة، ولا بد من تعميق العقيدة في قلوب شبابنا.

ثم إن شبابنا مع هذا كله واقفون على مفترق الطرق، جاءتهم أشياء شغلتهم عن الاشتغال بالعقيدة، وعن الاشتغال بطلب العلم الصحيح من المصدر الصحيح من الكتاب والسنة، جاءتهم الانتماءات، فجعل الشباب ينتمون انتماءات إلى جماعات وفرق، فصاروا مشغولين بتنفيذ ما تملي عليه جماعته التي ينتمي إليها، فيترك الاشتغال بالعلم: أنا مع الجماعة الفلانية، والجماعة الفلانية تقول واجب الشباب أن يفعلوا كيت وكيت، ولو قرأتَ في الواجبات التي تمليها تلك الجماعات على الشباب ما وجدتَ فيها تحقيق العقيدة أو تصحيح العبادة، ما وجدتَ شيئًا من ذلك.

من واجب الشباب إذا انتمى إلى جماعةٍ من الجماعات ألا ينتمي إلى جماعةٍ أخرى، وأن يكون ولاؤه لهذه الجماعة، وأن يكون الحب والبغض في إطار هذه الجماعة، فصار شبابنا مشغولين بهذه الانتماءات وبالتزام هذه الواجبات التي تملي الجماعات، فصار الولاء والحب والبغض كله في إطار الجماعات المتطرفة، فذهبت الوحدة الإسلامية؛ الحب في الله والبغض في الله والاشتغال بتحقيق العقيدة وربما في هذه الجماعات من يعيب عليه الاشتغال بالعقيدة، ما هي العقيدة؟ العقيدة العقيدة...، يا سبحان الله!

إذا كان الاشتغال بالعقيدة عيبًا ونقصًا ويتنافى مع أداء واجبات الجماعة فبئست تلك الجماعة التي تحول بين الشباب وبين الاشتغال بالعقيدة وتحقيق العقيدة، عاش شبابنا في هذا البلد لا يعرفون إلا سبيل المسلمين، لا يعلمون إلا الخير، فجاءهم أقوامٌ بفرقٍ وأحزاب وبانتماءات، وزينوا لهم تزيينًا، فوقعوا فيما وقعوا فيه، وصدق على شبابنا ما قال عمر بن

الخطاب رضي الله عنه: إنما تُنقض عرى الإسلام عروةً عروة إذا نشأ في الإسلام من لم يعرف الجاهلية. عدم معرفة الجاهلية قد يوقع الإنسان في الشر من حيث لا يعلم، الذي ضرب مثلاً وحلل هذا الكلام هو ابن القيم في الكتيب الفوائد، راجع الفوائد.

يقول العلامة ابن القيم: أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام مرت عليهم الجاهلية، فعرفوها، وذاقوا مرارتها، ثم جاءهم هذا الخير على يد محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وذاقوا حلاوة الخير، وعرفوا الخير، وقارنوا بين الشر الذي كانوا فيه والجاهلية التي عاشوها وبين الإسلام والإيمان الذي جاءهم على يد محمد عليه الصلاة والسلام، وقارنوا بينهما، فأحبوا الإسلام كل الحب، وكرهوا الجاهلية كل الكراهة، فإذا نشأ في الإسلام شبابٌ لا يعرفون إلا سبيل المسلمين ويجهلون سبيل المجرمين، ويجهلون الجاهلية، يأتي الملبس فيلبِّس عليهم، فيقول لهم: هذا خير، تعالوا بنا نتعاهد، تعالوا بنا نتبايع، علام؟ على العمل الإسلامي، كلمة جميلة ومعسولة، تعالوا بنا نتبايع على العمل الإسلامي، ما هو العمل الإسلامي الذي تقدمه هذه الجماعة؟ أين هو؟ لا تراه، اجتماعاتٌ سرية، وهمساتٌ في الآذان، واجتماعاتٌ في ظلام الليل ووراء الأبواب المغلقة، ومشاوراتٌ سرية... وهكذا، وإذا خرجوا كل ما نرى منهم لعب الكرة على الطريقة الإسلامية، عجبًا! لعب الكرة تحول عمل إسلامي! زهدوهم في الاشتغال بالعلم، وزهدوهم في الاتصال بالمشايخ ليستفيدوا منهم، قالوا: لا، نريد عمل إسلامي، يا فتي، أين العمل الإسلامي؟ لا تراه، تسمع العمل الإسلامي ولا تراه، تسمع جعجعةً ولا ترى طحنًا، لا يوجد طحين، جعجعة، الماكينة شغالة، والطحين لا يخرج، عجبًا أين العمل الإسلامي الذي نتبايع عليه؟! ولماذا لا تكون البيعة سرية في ظلام الليل ووراء الأبواب المغلقة، لماذا؟ وهل نحن في دار أرقم؟ رجعنا بالإسلام إلى السرية، فأصبحت الدعوة الإسلامية دعوة سرية في دار أرقم؟ الإسلام علني، له حكومة قائمة، وله دولة قائمة، والدعوة سائرة، دخلت الدعوة الإسلامية علنًا في دول أوروبا وأمريكا، ودخلت في مجاهيل أفريقيا التي كانوا يسموها مجاهيل، فتحتها الدعوة

الإسلامية السلفية في هدوء وبدون جعجعة، الدعوة صائرة، فيأتي الملبس في عقر دارنا فيلبس على الشباب باسم العمل الإسلامي، ولا ترى عملاً.

أيها الشباب انتبهوا لأنفسكم، التزموا منهجكم، وقد رُزقتم في دراستكم، في جامعاتكم ومعاهدكم ومدارسكم، بدءً من تحفيظ القرآن والتعليم الابتدائي إلى التعليم الجامعي منهجًا لا وجود على الأرض مثله، خذ هذا من مجرب، هذا المنهج الذي تدرسون فيه فروع اللغة العربية وعلوم القرآن، القرآن وعلومه، الحديث وعلومه، والفقه وأصوله، والعقيدة على منهج السلف، لا وجود له إلا عندكم، احمدوا ربكم على هذه النعمة، وإن جاء متحذلق فقال: أنتم متأخرون، تعالوا نتبايع لنعمل العمل الإسلامي العام، لنرفع راية الإسلام فوق كل أرض وتحت كل سماء، نريد الخلافة العامة، إياكم ثم إياكم السماع لمثل هذه الدعوات المضللة، قومٌ حسدوكم على ما أنتم عليه من الخير، من التحابب في الله، من التعاون على البر والتقوى، من دراسة المنهج السلفي السليم الذي ليس فيه شيءٌ من الشركيات والبدع، مع دراسة حاضر العالم الإسلامي، تدرسون حاضر العالم الإسلامي وتعلمون ما يجري حولكم، فيكم من الخير ما لا يوجد عند غيركم، ولو أنكم سافرتم وزرتم تلك الجامعات وما يدرسون من المناهج وأخلاق الطلاب هناك وذلك الاختلاط والتعليم المختلط لحمدتم ربكم، ولرددتم هذه الشبهات وهذا التزيين، ولم تصغوا إليهم.

الموضوع طويل، والنقاط أمامي كثيرة، أكتفي بهذا المقدار، لعلني أتمكن أن أعود مرةً أخرى لأكمل هذا المشوار –إن شاء الله–، وصلى الله وسلم وبارك على خير خلقه محمدٍ وآله وصحبه.